الإشاريات الشخصية في كتاب بلاغات النساء لابن طيفور (280هـ): دراسة تحليلية

Personal Signals in Women's Rehetrics in Ibn Tayfur's (d. 280 AH) Analytical Study

أ.د زكي فليح حسن

ندى محمد حسين

كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ذي قار، العراق

Nada Mohamed Hussein al-Mousawi

Prof. Dr.Zaki Falah Hassan

الملخص:

لم يكن الحديث عن الإشاريات في بلاغات النساء بعيداً عن المنهج التداولي، فقد استحضر المتكلم الإشاريات الحاضرة والمستترة، إذ بيَّن المتكلم قصده من خلال هذه التعبيرات الإشارية، وتهدف الدراسة إلى بيان الإشاريات جزئية من جزئيات التداولية في دراسة البني اللغوية عند الاستعمال، إذ تُسهم في تحديد المعاني التي يحملها نص معين، وهذه الإشاريات لا يتحدد مقصدها إلَّا عند وضعها في سياق معين؛ لأنَّها مبهمة في ذاتها لا معنى لها. ولتحقيق أهداف الدراسة فقد تم الاعتماد على المنهج الوصفي في عرض العينات وتوظيفها في بلاغات النساء. وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أبرزها أن هناك دور للإشاريات الشخصية الحيوية والفاعلة في قدرتها على استحضار المخاطب والمتلقي في العملية التواصلية. وأوصت الدراسة بمجموعة من التوصيات أبرزها ضرورة تدريس مادة (التداولية) في الدراسات الأولية (البكالوريوس)، إذ تمثل ركيزة أساسية في عملية التفاعل الحواري، والتواصل اللغوي.

الكلمات المفتاحية: التداولية، الإشاريات الشخصية، بلاغات النساء، الجانب التطبيقي.

Abstract:

Signals are a field of deliberative; because it is concerned with the relationship between the structure of linguistic structures and the context in which they are used, and all kinds of signals have very important role in analyzing the pragmatic approach. The mobilization of personal signals in the book (Balaghat al-Nisa') played an active role in understanding the nature of the relationship between the speaker and the recipient through the communicative context, and it was abundantly clear in the book (Balaghat al-Nisa'); Being the book focuses on the mechanism of discourse (poetry and prose), and these indices varied according to the nature of the context contained in it, so the pronouns belonging to the speaker or the recipient took the form of a separated or connected pronoun. Therefore, these indicative personal elements combine with the importance, and its connotations become clearer than before, especially when we were in the front of a manuscript such as (Balaghat al-Nisa') being applied; Because linguistic discourse (poetry and prose) is the outcome of a mutual language

between the two sides of the communicative process, namely: the speaker and the receiver.

Keywords: deliberative, personal indications, women's communications, the practical side.

المقدمة:

أسهمت التداولية في خط جداول جديدة في ميدان الدرس اللساني التي تولَّد عنها النزعة الشمولية، التي دكت التيارات الفكرية السابقة كـ(البنيوية، والتوليدية)، فعندما نتحدث عن استعمال اللغة، فإنَّ هذا الاستعمال ليس محايداً، فالإشاريات الشخصية لا يمكن أن تأوَّل إلَّا داخل سياقها التلفظي. ويفضي هذا الصنف من الدراسة إلى ضرورة تأويل ما يقصده المتكلمون ضمن سياق محدد، والتأثير الذي يمارسه هذا السياق في ما يقال.

وتهتم الدراسة بالتعرف على الإشاريات بوصفها حقلاً من حقول التداولية؛ لأنَّها تهتم بالعلاقة بين تركيب البنى اللغوية والسياق الذي تستعمل فيه، وللاشاريات بأنواعها دور بالغ الأهمية في تحليل المنهج التداولي. فكان لاحتشاد الإشاريات الشخصية في كتاب (بلاغات النساء) الدور الفاعل في فهم طبيعة العلاقة بين المتكلم والمتلقي من خلال السياق التواصلي، وقد كثرت بشكل واضح في كتاب (بلاغات النساء)؛ كون الكتاب يركز على آلية الخطاب (شعراً ونثراً)، وقد تنوعت هذه الإشاريات بحسب طبيعة السياق الواردة فيه، فكانت الضمائر العائدة على المتكلم أو المتلقي تأخذ شكل الضمير المنفصل أو المتصل. وتتضافر هذه العناصر الإشارية (الشخصية) مع الأهمية، فتتضح دلالاته بصورة أكثر وضوحاً من ذي قبل، خاصة إذ كنا أما مدونة كـ(بلاغات النساء) محل التطبيق؛ لأنَّ الخطاب اللغوي (شعراً ونثراً)، وليد لغة مشتركة بين طرفي العملية التواصلية، وهما: المتكلم والمتلقي.

مشكلة الدراسة:

تدور مشكلة الدراسة حول فهم تنوع مشارب الدراسة بين نحوية ولسانية (تداولية)، وصعوبة الكشف عن الأسس التي عملت بمقتضاها قرائح العلماء، فقد تأتي اللغة التي يكتب بها العلماء الغرب جافة ومعقدة، وصعوبة معرفة الآليات والقوانين في تحليل الخطاب في المدونة، ورصد المعاني، وبيان الجوانب المبتكرة لديهم.

ويمكن صياغة مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيسي التالي: ما أهمية الإشاريات الشخصية في المنظومة الخطابية؟

ويتفرع من التساؤل السابق مجموعة تساؤلات فرعية وهي:

- إلى أي مدى أسهمت الإشاريات الشخصية في إيصال مقاصد المتكلمين؟
- كيف عالجت الإشاريات الشخصية مهمة السياق التواصلي والتفاعل الحواري بين المتكلمين؟
- ما هي الآلية التي أسهمت بها الإشاريات الشخصية في إيصال مقاصد المرآة العربية؟
- هل تمكنت المرأة في إبلاغ مقاصدها وبماذا انماز أسلوبها ولغتها؟

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وهو المنهج المعتمد والأقرب إلى طبيعة العمل في هذه الدراسة؛ لأنَّ هذا المنهج يعتمد على دراسة العينة المختارة من كتاب بلاغات النساء، ويعمل على وصفها وتحليلها تحليلاً دقيقاً.

أهداف الدراسة:

- تهدف الدراسة إلى استقراء كتاب بلاغات النساء، لبيان الإشاريات الشخصية التي تميزت بها المرأة العربية.
- تهدف الدراسة أيضاً إلى بيان الآلية التي أسهمت بها الإشاريات في إيصال مقاصد المرأة العربية.
- بيان قصدية المرأة التي وظفتها من خلال الإشاريات الشخصية.

أهمية الدراسة:

لهذه الدراسة أهمية جليلة تتمثل في كونها نظرية صالحة لدراسة مدونة نفيسة كتاب بلاغات النساء، والذي يعدُّ رافداً ثرياً وغزيراً من روافد اللغة العربية، فهو يتضمن أقوال النساء (شعراً ونثراً) في جميع أفانين القول.

وأيضاً تكمن أهمية هذه الدراسة في بيان ما للتداولية من إسهام في ميدان الدرس التداولي، الذي قام على تحليل الخطاب ورسم آفاق ورؤى جديدة في تناول اللغة التي تعنى بالاستعمال وسياق الاستعمال وسنن التخاطب بين المتكلمين.

هيكل الدراسة:

- المقدمة.
- المبحث الأوَّل: الإشاريات الشخصية.
- المبحث الثاني: الجانب التطبيقي للإشاريات الشخصية.
- الخاتمة.

المبحث الأوَّل: الإشاريات الشخصية:

الإشاريات الشخصية هي: (الإشاريات الدالة على المتكلم، أو المخاطب، أو الغائب فالذات المتلفظة تدل على المرسل في السياق، فقد تصدر خطابات متعددة عن شخص واحد، فذاته المتلفظة تتغير بتغير السياق الذي تلفظ فيه، وهذه الذات هي محور التلفظ في الخطاب تداوليًا)[1].

تعتمد الإشاريات الشخصية مبدأ المشاركة بين الباث والمتلقي في عملية التلفظ، فهي عاجزة أو مفتقرة على تحديد إحالتها الحاصلة في الاستعمال، لذلك عدّها " ميلنر" فاقدة للاستقلالية الإحالية[2]. وقد أضاف فلاسفة اللغة بعدا آخر غير مرجعية الضمير هو (الصدق)[3]، بحيث لا تكون الجملة كاذب،ونبَه إلى ذلك "بيرس" في قوله: ((إنَّ الإشاريات ينبغي أن تكون محددة المرجع بتحقيق العلاقة الوجودية بين العلامة وما تدل عليه))[4].

وتتفرع الضمائر في العربية حسب الحضور في المقام أو الغياب، حسب الشخوص المشار اليهم في عملية التلفظ أو عدم مشاركتهم إلى فرعين هما: ضمائر الحضور، وضمائر الغياب، ثم تتفرع ضمائر الحضور إلى متكلم هو مركز المقام الإشاري وهو الباث، والى مخاطب يقابله في ذلك المقام ويشاركه فيه وهو المستقبل. وكل مجموعة تقسم بدورها حسب الجنس والعدد إلى أقسامها

[1] – الشهري، عبد الهادي بن ظافر (2004): استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ط1، بيروت: دار الكتاب المتحدة، ص82.

[2] – جاك موشلار، آن ريبول، (2010): القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين من الجامعات التونسية، إشراف: عز الدين المجدوي، مراجعة: خالد ميلاد، منشورات بناترا، المركز الوطني للترجمة، ص374.

[3] – نحلة، محمود أحمد (2011م): آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ط1، مكتبة الآداب، ص18.

[4] – المصدر السابق، ص18–20.

المعروفة[1]، وان ضمير الغائب لا يدخل ضمن الإشاريات إلَّا اذا كانت مرجعيته غير معروفة داخل السياق، فان عرفت تلك المرجعية خرج عن دائرة الإشارة[2].

وتقوم هذه الضمائر على مفهوم دور الشخوص المشاركين في عملية التلفظ، فالنحاة الإغريق واللاتينيون وضعوا تسمية الضمائر من خلال إجراء الاسم الذي يطلق على (الشخصية المسرحية أو الدور المسرحي) إجراء مجازيا؛ وهذا الإجراء نفسه ذو صلة بتصورهم لوظيفة اللغة التي تتمثل عندهم في "مسرحية " يؤدي فيها المتكلم الدور الرئيسي ويؤدي السامع دورًا أخرًا بارزًا يرتبط بذلك الدور الأول؛ ثم جرت ترجمة هذا المصطلح إلى اللاتينية باستعمال لفظ (persona) ويعني القناع وهذا غير بعيد من هذا إجراء لفظ "الضمير" عند النحاة العرب على الوحدات الدالة على الشخص؛ وهو يتعلق بمفهوم الخفاء والدقة والباطن[3].

وقد انتهت آن روبول" إلى عدة نتائج عن الضمير:

1- تحديد ضمير الشخصين (المتكلم، المخاطب) مباشرة عن طريق دوره في التواصل، بينما لا يتحدد ضمير الشخص (الغائب) فهو يمثل عددا لا متناهيًا من الأفراد.
2- يحل ضمير الشخص الأوَّل (المتكلم) محل ضمير الشخص الثاني (المخاطب) والعكس بالعكس عندما يتبادل المخاطبان دوريهما.
3- ضمير الشخص الثالث (ضمير الغائب) هو الوحيد الذي يمكن أن يستعمل في الدلالة على الجوامد[4].

ويُعدُّ النداء وهو ضميمة اسمية لتنبيه المخاطب أو استدعائه من الإشاريات الشخصية، فهو توجيه لأنَّ يحفز المرسل إليه لردة فعل تجاه المرسل، إذ يراه التداوليون أحد أدوات التخاطب الخاصة بالعملية التواصلية لأنَّه يجسد الحلقة التخاطبية[5].

أمَّا أسماء الإشارة فتُعدُّ من الإشاريات الشخصية أيضًا، فهي تنماز بقدرتها الإشارية للأشخاص فضلًا عن الزمان والمكان، وهي عند التداوليين ((وحدات خطابية تربط اللغة بالواقع الخارجي، وتثبت أنَّ اللغة ليست نظامًا منغلقًا على ذاته يحكمه منطق داخلي، وهي في تحليل الخطاب والنظريات

[1] – الزناد، الأزهر، (1993م): نسيج النص، ط1، المركز الثقافي العربي، ص117.
[2] – المصدر سابق، ص18.
[3] – الزناد، الأزهر، نسيج النص: ص117.
[4] – جاك موشلار، آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص359.
[5] – الشهري، عبد الهادي بن ظافر استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ص360.

اللسانية النصية أدوات ربط تسهم في اتساق النص وتماسك الخطاب بفضل دورها العائدي))[1]، وقد ذهبت الدكتورة "نرجس باديس" إلى رفض أسماء الإشارة وعدها من الإشاريات الشخصية، واستندت في رأيها ذاك على الحضور التخاطبي، إذ ترى أنَّ المقام الخطابي لا يساوي المقام المادي المحسوس قالت: ((إنَّ اسم الإشارة لا يُعدُّ مشيرًا مقاميًا من حيث أنَّه لا يشير إلَّا إلى غائب))[2].

أما الأسماء الموصولة فقد عدها "روبرت دي بوجراند" و "الأزهر الزناد" من الألفاظ الإشارية التي لا تمتلك دلالة مستقلة بل تعود إلى عنصر أو عناصر أخرى في الخطاب[3].

وذهب قسم من الباحثين إلى عدها من الإشاريات الشخصية، إذ اطلق د. تمَّام حسَّان مصطلح الضمائر على ضمائر الأشخاص وأسماء الإشارة والموصولات[4].

فيما تذهب الباحثة إلى عدها عناصر إشارية تنماز بقدرتها على الإشارة إلى الأشخاص فضلًا عن الزمان والمكان، استنادا إلى معطيات الأبعاد التداولية في كتاب بلاغات النساء.

المبحث الثاني: الجانب التطبيقي للإشاريات الشخصية

من خلال كتاب (بلاغات النساء) أوجدت الدراسة في كثير من الخطب دورًا للإشاريات الشخصية، بشكل ملفت في صياغة النسيج النصي، وتحقيق العملية التواصلية بين الباث والمتلقي، كما هو الحال فيما كتبته "أم سلمة" لعائشة "رضي الله عنهما" عندما همت بالخروج إلى الجمل قالت:)**(يا عائشة انك سُدة* بين رسول الله (ص) وبين أمته، حجابك مضروب على حرمته، وقد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه* وسكن الله من عقيراك فلا تصحريها*، الله من وراء هذه الأمة، فقد علم رسول الله مكانك لو أراد أن يعهد فيك عهدٌ، بل قد نهاكِ عن القرطة في البلاد، ماكنت قائلة لو إن رسول الله (ص) عارضك بأطراف الفلوات ناصة* قعودا من منهل إلى منهل؟ أن يعين الله مثواك، وعلى رسول الله (ص) تعرضين ولو امرت بدخول الفردوس لا ستحييت أن القى محمدا (ص) هاتكة حجابا جعله الله علي، فاجعليه سترك وقاعة البيت قبرك حتى تلفيه وهو عنك راضٍ،**

---

[1] – باديس، نرجس (2009م): المشيرات المقامية في اللغة، ط1، مركز النشر الجامعي، جامعة مثوبة، ص278.

[2] – باديس، نرجس، المشيرات المقامية في اللغة: ص278.

[3] – النجار، نادية رمضان، (2016م): الاتجاه التداولي والوسيط في الدرس اللغوي، ط1، مؤسسة مورس الدولية، ص93.

4– حسّان، تمّام، (2006م): اللغة العربية معناها ومبناها، ط5، عالم الكتب، ص109.

*سدة: باب: وأرادت أن تكون مدخلا للناس إلى حرمة رسول الله (ص).

*– تندحيه: لا توسعيه بخروجك إلى البصرة، طيفور، الإمام أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (2005م)، بلاغات النساء، ط1، اعتنى به وفهرسه: بركات يوسف هيّود، بيروت: المكتبة العصرية، ص25.

* تصحريها: لا ترفعي صوتك، ولا تبرزي للفتنة: طيفور، بلاغات النساء: ص25.

فقالت عائشة: يا أم سلمة، ما اقبلني لموعظتك واعرفني بنصيحتك ليس الأمر كما تقولين ما أنا بمعبرة بعد تعود*))[1].

وقبل الخوض في التحليل نود التنويه إلى أنَّ الدراسة لا تتناول التعابير الإشارية الشخصية في المخطط أدناه من أجل إحصائها فحسب، بل من اجل الكشف عن دورها في عملية التواصل المباشر بين الباث والمتلقي في سياق الكلام:

الجملة	التعبير الإشاري الشخصي	الجملة	الإشاريات الشخصية
يا عائشة	ياء النداء	عارضك	كاف الخطاب
انك	كاف الخطاب	مثواك	كاف الخطاب
امتي	تاء الفاعل		
حجابك	كاف الخطاب	أمرت	تاء الفاعل
حرمته	تاء الفاعل	استحييت	تاء الفاعل
ذيلك	اسم إشارة	سترك	كاف الخطاب
عقيرك	كاف الخطاب	قبرك	كاف الخطاب
هذه	اسم إشارة	هو	ضمير الغائب
مكانك	كاف الخطاب	عنك	كاف الخطاب
منك	كاف الخطاب	اقبلي موعضتك	تاء المتكلم كاف الخطاب
كنت	تاء الفاعل	بنصيحتك نا	كاف الخطاب ضمير المتكلم

*– ناصة: من نص الناقة، استخرج اقصى ما عندها من السير: طيفور، بلاغات النساء، ص25.

* – بمعبرة بعد تعود: لعل المقصود لن ترجع عما عزمت عليه وقد امتلأت بالعبرات: طيفور، بلاغات النساء.

[1] – طيفور، بلاغات النساء: ص25.

شرعت السيدة أم سلمة خطبتها بالنداء، والنداء عنصر إشاري يدخل في التعبير إلى الإشارة الشخصية كما مر ذكره أنفًا، فمن خلال هذا النداء (يا عائشة) أراد المتكلم وهو في مقام النصح بتذكير وتوجيه المتلقي وتنبيهه بقوله:((يا عائشة انك سُدة بين رسول الله)) فأراد المتكلم أن يوجه وينبه المتلقي إلى أن يثنيه عن الخروج إلى حرب الجمل لأنَّها زوج النبي وهذا لا يليق بزوجات النبي.

نجد في هذا النص كثيرا من التعبيرات الإشارية الشخصية، كضمائر الحاضر سواء المتكلم أو المخاطب ويعتمد تفسيرها أو مرجعها اعتمادًا تامًا على السياق الذي استعملت فيه، وهي في دورها تُسهم تداوليًا في عملية التواصل بين العناصر المشاركة في الخطاب[1].

ونلحظ في الحوار الذي دار بين أم سلمة والسيدة عائشة تكرار" كاف الخطاب وتاء الفاعل" كما (هو مبين في الجدول) وقد كان لهذه العناصر الإشارية الشخصية دور هام في العملية التواصلية والتفاعلية بين طرفي الخطاب (الباث والمتلقي)؛ لأنَّ اللغة تدرس الاستعمال من جهة التأثير والتأثر، فالعلاقة بين طرفي الخطاب من ابرز العناصر السياقية التي تؤثر في تحديد استراتيجية الخطاب المناسبة واختيارها، فالمرسل يراعيها في العملية الخطابية لما لها من دور فعال في إنجاح التواصل، وتحقيق هدف المرسل إليه، إذ لا يمكن للأمر أن يقتصر على المتكلم بمعزل عن المخاطب وما يحيط بالعملية التواصلية، فهناك العلاقة بينهما والمعرفة المشتركة وغيرها من العناصر المؤثرة[2].

فمن خلال تتبع السياق في الخطبة نلحظ شيوع وتكرار تلك العناصر الشخصية الخاصة للخطاب اكثر من تلك التي تخص المتكلم كما في المثال (انك، حجابك، عقيرك، مكانك، منك، عارضك، مثواك، سترك، قبرك، عنك)، لأنَّ المتكلم أراد أن يشعر المخاطب بشناعة ما سيفعله فأراده أن يقلع عما يريد القيام به، فاستعمل أسلوبًا مباشرًا في الخطاب، فنرى شيوع هذه العناصر الإشارية الشخصية بين المتكلم والمخاطب وتقسيم الأدوار داخل الخطاب، ومن ثمَّ يشعر المخاطب بأنَّه يقوم بدور المشارك الثاني في صناعة الخطاب كما في المثال (اقبلني، موعظتك، نصيحتك، أنا) لما يصل إليه بوساطة حضوره في الخطاب وهذا يظهر الجانب التأثيري للفعل اللغوي أو الكلامي تداوليًا[3].

وفي نص آخر من خطبة للسيدة الزهراء (رضى الله عنها)، لما منعها أبو بكر من فدك تقول فيه:((**وانتم الألى نخبة الله التي انتخب لدينه، وانصار رسوله، وأهل الإسلام والخيرة التي اختار لنا أهل البيت، قباديتم العرب، وناهضتم الأمم، وكافحتم البهم، لا نبرح نأمركم وتأمرون حتى دارت**

[1] – كنون، أحمد، (2015م): التداولية بين النظرية والتطبيق، ط1، سلسلة الرسائل الجامعية، دار النابغة، ص102.
[2] – الشهري، مصدر سابق، ص82.
[3] – كنون، مصدر سابق، ص98.

لكم بنا رحا الإسلام، ودر حلبُ الأرحام، وخضعت نعرة الشرك*، وباخت نيران الحرب وهدأت دعوة الهرج، واستوسق* نظام الدين، فأنى حرتم بعد البيان، ونكصتم بعد الأقدام، وأسررتم بعد الإعلان لقوم نكثوا أيمانهم ﴿ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1][آل عمران:114].

الإشاريات الشخصية في هذا النص جلية واضحة وكما يأتي:

الجمل	الإشاريات
انتم	الضمير انتم
لنا	نا
ناديتم	تم
ناهضتم	تم
كافحتم	تم
نأمركم	كم
تأمرون	واو الجماعة
لكم	كم
بنا	نا
حرثتم	تم
نكصتم	تم
نكثوا	واو الجماعة
نبرح	ضمير مستتر نحن

[1] – طيفور، بلاغات النساء: ص35.

* نعرة الشرك: كبره وخيلاؤه.

*استوسق: اجتمع.

تُعدُّ العلاقة بين طرفي الخطاب في الاستعمال التداولي من أبرز العناصر السياقية التي تؤثر في تحديد استراتيجية الخطاب المناسبة واختيارها، إذ يراعيها المتكلم دوما عند إنتاج خطابه فلا يغفلها، وذلك بوصفها محددًا سياقيًا، له دوره في إنجاح عملية التواصل وتحقيق هدف المرسل من عدمه[1].

لقد ألقت السيدة الزهراء خطبتها هذه بعد وفاة أبيها (صلى الله عليه وسلم) بجمع من الأنصار والمهاجرين، ومن يتتبع المدونة التي وردت في خطبتها والانتقالات بين النصوص تذهله عقلية وبلاغة الزهراء (رضى الله عنها) وما منحها الله من قدرات في إيصال خطابها إلى المخاطبين ومقاصدها التي رامت إيصالها إلى المسلمين، من المهاجرين والأنصار وكيف انقذهم الله بأبيها، إذ كان له الفضل الكبير على العرب وقد حّد دياناتهم بعد أن كانت متفرقة، وما أن اصطفاكم لدينه وأصبحتم أنصارًا له وللإسلام وحاربتم الخصوم ودافعتم كما يدافع الكبش قرنه بقرنه، وقاتلتم الشجعان، فكنا آمرين لكم مطيعين لنا في أوامرنا، ثم نرى استعمالها للكنايات وجمال العبارات.

وقد تنوعت الإشاريات في هذه المدونة بين ضمائر متصلة ومستترة وهي تمثل ضمائر المتكلم والمخاطب وهذه الضمائر كلها تحيل إلى ذوات معينة، وساعد السياق في الكشف عن مرجعية هذه الضمائر كما هو موضح في المخطط أعلاه، فالمتكلم هي السيدة (رضى الله عنها)، والمخاطب هم الأنصار والمهاجرين.

وإنَّ الخطاب تتحكم فيه بعض الأحيان استعمالات تداولية تجبر المتكلم على تظيفها، منها، استعمالات لبعض الإشاريات الشخصية المعينة لخدمة خطابه الذي يلقيه، وبما أنَّ الخطاب من سيدة النطق والبلاغة فهي تعرف ما تختار في خطابها، ومن ذلك ضمائر الجمع (انتم، ناهضتم، كافحتم، ناديتم) وهي تدخل في باب المدح للمخاطب حتى تشعره بعظمته، وهذا ما فعلته السيدة الزهراء (رضى الله عنها)، وفي موضع آخر استعمل المتكلم ضمائر الجمع المتصلة المستترة لبيان مكانة وعظم منزلته، ولاريب ما للسيدة الزهراء من مرتبة وسلطة دينية فجاءت الإشاريات الشخصية المتمثلة بـ (نا، بنا، نبرح) فالضمير نحن المتصل والمستتر استعمل ليعبر عن التضامن والتعاون الموجود بينهم (أهل البيت) وهو استعمال تداولي، إذ أرادت السيدة أن تبين انهم فرد واحد ولهم غاية مشتركة كالانتماء بين الجماعة حتى بعد وفاة أبيها، وكذلك الضمير المستتر في (نبرح).

فالضمير (نحن) هو من حقق تلك الإشاريات الشخصية للدلالة على المتكلم الحاضر، انطلاقا من أنَّه يسمى ضمير المتكلم والمخاطب: ضمير حضور، ذلك أنَّ صاحبه لا بدَّ أن يكون حاضرًا

[1] – الشهري، عبد الهادي بن ظافر، المصدر سابق، ص48.

وقت النطق به، لذلك يُعدُّ استعمال المتكلم للضمير (نحن) دليل على حضور الطرف الآخر، حتى لو كان غائبًا عن عينيه[1].

وهذا ما فعلته الزهراء (رضى اله عنها) باستعمالها الضمير (نحن) عندما استحضرت أبيها وزوجها.

وقد قسمت (روبين لا كوف) دلالة(نحن) إلى قسمين رئيسين هما:

1- نحن الشاملة.

2- نحن القاصرة أو الحاضرة.

حيث يدخل المخاطب في اطار القسم الأول وهي بهذا تعادل (أنا، نحن، انتم): أمَّا الثانية فتفيد المخاطب وهي (أنا، وأخرون) في هذا القسم يستعمله أصحاب المقامات الرفيعة للدلالة على مرتبتهم[2].

ولا يختلف تقسيم "لاكوف" عن تقسيم "جورج يول"(نحن المستثنية ونحن المشتملة)[3]. وهذا ما وجدناه في خطاب الزهراء المتمثل بـ(بنا، لنا، نبرح)، للدلالة على مرتبة ومكانة أسرتها وهم بيت النبوة، فكأن المتكلم عندما استعمل هذه الضمائر الشخصية استعمالًا تداوليًا فهو يمارس شيئًا من السلطة والصلاحية.

ومن الإشاريات الشخصية ما دار بين الزرقاء بنت عدي ومعاوية، قال معاوية: ((والله يا رزقاء لقد شركت عليا في كل دم سفكته، فقالت: احسن الله شارتك يا أمير المؤمنين وأدام سلامتك، مثلك من بشر بخير وسر جليس، قال لها: وقد سرك ذلك؟ قالت: نعم – والله لقد سرني قولك))[4].

يلحظ في هذا النص التداولي إعلام أشير اليهم، بأنواع مختلفة من الإشاريات بما يتناسب مع الخطاب منها (يا زرقاء/ عليا)، فالمتكلم ينتقي في هذا النص من التعبيرات الإشارية ما يطابق ومقتضى حال المخاطب، فقد يشير إلى إنسان باسمه(العلم) أو بواسطة النداء بقوله (يا زرقاء)، كما فعل معاوية عندما تحاور مع الزرقاء بنت عدي حيث ناداها باسمها الصريح فتُعدُّ الإشارة في النداء إشارة لفظية، يترتب على أثرها التواجه بين المتكلم والمتلقي، أي أنَّ ذلك التواجه في إشارة النداء لا

[1] – المصدر السابق، ص291– 292.

[2] – المصدر السابق، ص293.

[3] – كنون، أحمد، التداولية، ص31.

[4] – طيفور، بلاغات النساء، ص51.

يحصل إلَّا بعد حدوث الإشارة اللفظية[1]، فاراد معاوية أن يواجه الزرقاء بما فعلته مع الأمام علي (رضى الله عنه) وكيف كانت تحث على مساندة الإمام في الحرب، وفي استعماله لاسم العلم (عليا)، والعلم من التعبيرات الإشارية التي تستعمل للإيماء إلى مرجع في الواقع، العلم يتخذ اسمًا ملازمًا للمشار إليه، صار علامة عليه؛ كان تشير إلى رجل فتقول (هذا زيد)، ثم يتكرر فيعلم أنَّ (زيدًا) علم عليه، فيصبح معرفة مشتركة بين المتخاطبين؛ فيستغني به عن الإشارة إليه؛ إذ توجد في البدء تسمية أولية حيث يسند اسم علم ما لشيء ما بتعيين هذا الشيء على نحو إشاري، وذلك بجارحة على سبيل المثال، أو على نحو وصفي ثم يتسنى لسائر الجماعي اللسانية أن تتعلم استعمال هذا الاسم العلم، على اعتبار أنَّه يتعين على الفرد الذي تعلم الاسم العلم أن يكون مقصده استعمال هذا الاسم العلم بنفس إحالة الفرد الذي علمه إياه وفي استعمال المتكلم لاسم العلم إشارة ذهنية للمتلقي لأنَّه يختلف عن اسم الإشارة لأنك تستعمل اسم الإشارة في الإيماء لما هو في حضرتك، فاذا غاب عنك لم تشر إليه، وزالت الدلالة عليه باسم الإشارة فهو ملازم للشمار إليه في حضرت للمتكلم[2]؛ "فاذا غاب زال عنه ذلك الاسم؛ والأسماء موضوعة للزوم مسمياتها"[3].

والتعيين بوساطة الإشاريات يكون إدراكيًا، أمَّا التعيين بوساطة اسم العلم فهو عمومي أنَّ المعلومات التي ترافقها استعمال العبارات الإشارية تكون مترسخة ذهنيا بالواقع، أمَّا المعلومات المرافقة لاسم العلم فهي لا تحتاج إلى ذلك[4]، كما ورد في النص (لقد شركت عليا)، فقد أشار معاوية إلى اسم العلم (عليا) ليشرك الزرقاء في فعلها مع الإمام علي في مساندته له في حربه ضد معاوية وشحذ همم المسلمين في مناصرة الحق.

ويتبادل طرفا الخطاب دوريهما في الكلام ففي قول الزرقاء ومعاوية: (بشارتك، سلامتك، مثلك، سرني، قولك، ذلك، سرك)، فهنا استعمل المتكلم والمخاطب مجموعة من الإشاريات الشخصية المتمثلة بكاف الخطاب وياء المتكلم واسم الإشارة، وقد أدت هذه الإشاريات الشخصية دورًا بالغ الأهمية من أجل تحقيق التواصل بين معاوية والزرقاء، إذ جاءت هذه الإشاريات مشتركة بين المتكلم والمخاطب، ومن ثمَّ استعملت الزرقاء النداء في توجيه خطابها لمعاوية بقولها:(يا أمير المؤمنين)، إذ استعملت النداء وهو ضميمة اسمية أردفتها بلقب أمير المؤمنين وهو حق مكتسب في الخطابات

[1] – باديس، نرجس، المشيرات المقامية في القران، ص225.

[2] – الباز، محمد عبد السلام، (2015م): آفاق التداولية في النصوص النثرية الكاملة (أعمال علي الجارم نموذجاً)، ط1، القاهرة، دار النابغة للنشر والتوزيع، ص127.

[3] – ابن يعيش، أبو البقاء يعيش بن علي (ت643هـ)، (2013م): شرح المفصل، تحقيق: إبراهيم محمد عبد الله، دار سعد الدين، ط1، دمشق، ص3–126.

[4] – الإشاريات مقاربة تداولية ضمن كتاب (التداوليات علم استعمال اللغة)، ص445.

الرسمية[1]، وكونه خليفة المسلمين فالآلية الخطابية استوجبت هذا الاستعمال للقب الوظيفي الذي يتناسب والمكانة التي يمتلكها المخاطب من باب التناسب والتوافق في الوصف بحسب الوظيفة التي يمتلكها المخاطب، وهذا يشير إلى ما يملكه المتكلم من كفاءة لغوية، وكفاءة تداولية في صناعة الخطاب ضمن سياق مناسب.

وفي قول السيدة زينب (رضى الله عنها)((وسيعلم من بوّأك ومكنك من رقاب المؤمنين اذا كان الحكم الله، والخصم محمد (صلى الله عليه وسلم): وجوارحك شاهدة عليك فبئس للظالمين بدلًا))[2]، نلحظ في هذا النص التواصلي، أنَّ السيدة زينب تتواصل مع الطرف الأخر (المتلقي) بتذكيره وتوبيخه وتبليغه عاقبة ما فعله ومن مكنه من رقاب المؤمنين وكيف سولت له نفسه فعل ذلك بأهل بيت النبوة وأنَّ الحكم يومئذ لله والخصم هو رسول الله والشاهد على فعله جوارحه، فـ(الكاف والاسم الموصول) عملت عملًا تداوليًا في قولها: (من بؤك، مكنك، عليك، جوارحك)، إذ استحضرت المخاطب الذي بدوره يضفي حركة الخطاب[3].

وهذه الإشاريات الشخصية ومنها الأسماء الموصولة التي تنوب في بعض الأحيان عن الضمائر الشخيصية، وتؤدي وظيفتها الإشارية التداولية بوساطة الحضور الذهني تأسيسا على الحضور الحسي، أو المشاهدة الفعلية[4] ففي قول السيدة زينب: (وسيعلم من بوأك) قد أزالت الجملة الفعلية التي جاءت بعدها عن إبهامها وغموضها وأسفرت إشارتها إلى العاقل الذي أنذرته السيدة زينب وإثارة الرعب في قلب المخاطب، فنرى هنا الباث يعمد إلى ذكر العواقب لتوجيه المتلقي لوفق ما يريد هو غير مكترث لمكانته، وسطوته، فيذكره بشنيع فعله وأنَّ الحكم سيكون هو الله ورسوله، فما ورد في خطاب السيدة زينب من الإشاريات الشخصية للأسماء الموصولة المتضمنة في النص، تُعدُّ عنصرًا إحاليًا غامض المعنى، غير أنَّها لها اثر في تماسك النص؛ لأنَّها تشير إلى محال عليه مرتبط معنى، لغرض إزالة هذا الغموض وتوضيح الدلالة وتباينها، وهذا ما أكد عليه النحاة والتي لا يبين الكلام من غيرها، ويستلزم على المتكلم أن يكون على معرفة باعتماد المخاطب عليها قبل أن يذكر الموصول وللقرائن الإحالية والسياقية أثر في جلاء هذا الإبهام عن الأسماء الموصولة[5].

---

[1] – الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص276.

[2] –طيفور، بلاغات النساء، ص40.

[3] – الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص48.

[4] – ابن يعيش، شرح المفصل، الجزء3، ص277.

[1] – الأستراباذي محمد بن الحسن الرضي (ت686هـ)، 1978م، شرح الرضي، تحقيق: يوسف حسن عمر، ط1، منشورات جامعة قار، ج8، ص3.

وعليه فلا يمكن تحديد مرجع الضمائر وهي بمعزل عن السياق، إلَّا اذا أعينت بالأسماء التي تحيل عليها، ذلك أنَّ الضمائر تدلُّ دلالة وظيفية على المطلق الغائب أو الحاضر[1]، فهي لا تدلّ على مسمى كما تدل على الأسماء فاذا أريد أن تدلّ عليها فتقلب من وظيفية إلى معجمية، كان ذلك بوساطة المرجع، فدلالتها على الاسم لا تتأتى إلَّا بمعونة الاسم.

الخاتمة:

بعد التطواف في كتاب بلاغات النساء وصل الخوض في رحاب اللسانيات التداولية محطة الختام في هذا الدراسة، وتعمدت الدراسة في رسم الخطوط العامة للإشاريات الشخصية في كتاب بلاغات النساء من دون الاستغراق في التفاصيل، والمتأمل في الكتاب يجد امرا مهما تحقق من خلال ثنائية التعبيرات الاشارية الشخصية (المتكلم والمتلقي)؛ وهو التواصل الناجح الحاصل بين طرفي الخطاب عن طريق هذه التعبيرات، فالتعبيرات الاشارية الشخصية تؤدي الوظيفة التي وضعت لغرضهااللغات الطبيعية، وهي التواصل اللغوي المباشر بين المتكلمين،وتمخضت هذا الدراسة عن مجموعة من النتائج التي أشير إليها في هذه الدراسة والتي يمكن إيجازها بالآتي:

1. أثبتت الدراسة دور الإشاريات الشخصية الحيوية والفاعلة في قدرتها على استحضار المخاطب والمتلقي في العملية التواصلية.
2. أدّت الإشاريات الشخصية دوراً مهماً في تكوين البعد التلقيني بارتباط الضمائر فيه مع السياق الكلامي.
3. اهتمت الإشاريات الشخصية برصد مقاصد المتحاور في التخاطب.
4. أظهرت المرأة العربية دقة في الخطاب اللغوي تفوق في بعض الأحيان الرجل، لا سيما في مجال فلسفة الكلام بما تملكه من الأدوات المناسبة.
5. أدركت الدراسة أنَّ المتكلمين لا يستعمون الألفاظ في معانيها الحقيقية الوضعية دائماً، بل يستعملون في كثير من الأحيان معاني مجازية اعتماداً على قرائن الحال والمقال.

التوصيات:

1. الدعوة إلى تدريس مادة (التداولية) في الدراسات الأولية، إذ تمثل ركيزة أساسية في عملية التواصل اللغوي.

[1] – حسّان، تمّام، اللغة العربية معناها ومبناها، ص113.

2. ضرورة إعداد برنامج دراسي توزع مفرداته على مراحل البكالوريوس.

3. ضرورة إشراك الطلبة من المرحلة الأولى في إعداد البحوث اعتماداً على مبدأ التداخل الاختصاصي في شتى حقول المعرفة، إذ سيكون كفيلاً بفتح فرص التحاور المثمر بين الطلبة.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن يعيش، أبو البقاء يعيش بن علي (ت643هـ)، (2013م): شرح المفصل، تحقيق: إبراهيم محمد عبد الله، دار سعد الدين، ط1، دمشق،

2. الأستراباذي، محمد بن الحسن الرضي (ت686هـ)، (1978م): شرح الرضي على الكافية، تحقيق: يوسف حسن عمر، ط1، منشورات جامعة قار يونس.

3. باديس، نرجس، (2009م): المشيرات المقامية في اللغة العربية، ط1، مركز النشر الجامعي.

4. حسّان، تمّام (2006م): اللغة العربية معناها ومبناها، ط5، عالم الكتب.

5. الزناد، الأزهر، (1993م)، نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ بها، ط1، المركز الثقافي العربي.

6. الشهري، عبد الهادي بن ظافر (2004م)، استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية، ط1،، دار الكتاب المتحدة.

7. طيفور الإمام أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (ت280هـ) (2005م)، بلاغات النساء، ط1، اعتنى به وفهرسه: بركات يوسف هيّود، المكتبة العصرية،.

8. كنون، أحمد (2015م): التداولية بين النظرية والتطبيق، ط1، سلسلة الرسائل الجامعية، دار النابغة.

9. موشلار، جاك، آن ريبول، 2010م، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: عز الدين المجدوي، مراجعة: خالد ميلاد، منشورات بناترا، المركز الوطني للترجمة.

10. النجار، نادية رمضان، (2016م): الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، ط1، مؤسسة مورس الدولية.

11. نحلة، محمود أحمد، (2011م): آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ط1، مكتبة الآداب.